في الانحطاط الى ان ينتهي الى الهلاك والفنا ومثل هذا الشي ليس للعاقل
ان يبتهج به تنبيه قوله تعالى فاصبح يجوز ان يكون على بابه فان اكثر
ما يطرق من الافات صباحا كقوله تعالى فاصبح يقلب كفيه ويجوز
ان يكون بمعنى صار من غير تقييد بصباح من غير تقييد بصباح كقول
القايل اصبحت لا احمل السلاح ولا املك راس البعير ان نفرا
ولما بين سبحانه وتعالى ان الدنيا سريعة الانقراض والانقضا مشرفة
على الزوال والبوار والفنا بين بقوله تعالى **المال والبنون زينة الحياة الدنيا**
ادخال هذا الجزء تحت هذا الكلي فينعقد به قياس من الانتاج وهو ان المال
والبنون زينة الحياة الدنيا وما كانت زينة الحياة الدنيا سريعة الانقضا
والانقراض وما كان كذلك فانه يقبح بالعقل ان يفتخر به او يفرح
بسببه او يقيم له في نظره وزنا وهذا برهان ظاهر باهر على فساد قول اولئك
المشركين الذين افتخروا على الفقرا المومنين بكثرة الاموال ثم ذكر تعالى
ما يدل على رجحان اولئك الفقرا على اولئك الكفار من الاغنيا فقال
والباقيات الصالحات خير اي من الزينة الفانية لان خيرات الدنيا منقرضة
منقضية وخيرات الاخرة دايمة باقية والدايم الباقي خير من المنقرض
المنقضي وهذا معلوم بالضرورة لا سيما وقد ثبت ان خيرات الدنيا خ
خسيسة وان خيرات الاخرة رفيعة شريفة والمفسرون ذكروا في
الباقيات الصالحات اقوالا احدها انها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا
الله والله اكبر زاد بعضهم ولا حول ولا قوة الا بالله وللغزالي في تفسير
هذه الزيادة وجه لطيف فقال روي انه من قال سبحان الله حصل له من
الثواب عشر حسنات فاذا قال الحمد لله صارت عشرين فاذا قال
ولا اله الا الله صارت ثلاثين فاذا قال والله اكبر صارت اربعين
وتحقيق القول فيه ان مراتب الثواب اعظمها هو الاستغراق في معرفة
الله تعالى وفي محبته فاذا قال سبحان الله فقد عرف كونه تعالى منزها عن
كل ما لا يليق به وكل ما لا ينبغي فحصول هذا العرفان سعادة عظيمة
وبهجة كاملة فاذا قال مع ذلك الحمد لله فقد اقر بان الحق سبحانه
وتعالى مع كونه منزها عن كل ما لا ينبغي فهو المبدا لكل ما ينبغي ولكل
كل خير وكمال فقد تضاعفت درجات المعرفة فلا جرم قلنا بمضاعفة
الثواب فاذا قال مع ذلك لا اله الا الله فقد اقر بان الذي تنزه عن كل
ما لا ينبغي وهو المبدا لكل ما ينبغي ليس في الوجود موجود هكذا
الا هو واحد فقد صارت مراتب المعرفة ثلاثة فلا جرم صارت
درجات الثواب ثلاثة فاذا قال العبد والله اكبر فمعناه انه اكبر واعظم
من ان يصل العقل الى كنه كبريائه وجلاله فقد صارت مراتب المعرفة

اربعة

اربعة فلا جرم صارت درجات الثواب اربعة وعن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لان اقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله اكبر احب الي مما طلعت عليه الشمس وعن ابي سعيد الخدري انه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استكثروا من الباقيات
الصالحات قيل وما هن يا رسول الله قال التهليل والتكبير والتسبيح
والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله ثانيها انها الصلوات الخمس ثالثها
انها الطيب من القول رابعها وهو اعمها واولاها انها اعمال الخيرات
التي تبقى ثمراتها ابد الاباد فيندرج في ذلك الصلاة واعمال الحج وصيام
رمضان وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا
قوة الا بالله والكلام الطيب وغير ذلك من كل عمل وقول دعاك الى محبة
الله ومعرفته وخدمته واما ما دعاك من قول وعمل الى الاعمال باشتغال لِباحوالِ
الخلق فهو خارج عن ذلك لان كل ما سوى الحق فهو فان لذاته فكان
الاشتغال به والانفاق عليه باطلا وسعيا ضايعا واما الحق لذاته
فهو الباقي الذي لا يقبل الزوال لا جرم كان الاشتغال بمحبته ومعرفته
وطاعته وخدمته هو الذي يبقى بقا لا يزول ولما كان اهم ما الى من
حصل البقا ليس لكفاية من يحفظها له لوقت حاجته قال تعالى
عند ربك اي الجليل المواهب العالم بالعواقب وخير من المال والبنين في العاجل
والاجل **ثوابا وخير** من ذلك كله **املا** اي من جملة ما يرجوه فيها
من الثواب ويرجو فيهما من الامل لان ثوابها الى البقا وامالها كل ساعة
في تحقق وعلو وارتقا وامل المال والبنين كان احوج ما يكون
اليهما وعن قتادة كلما اريد به وجه الله تعالى خير ثوابا اي ما يفعلونها
من الثواب وما يتعلق بها من الامل لان صاحبها نال في الدنيا ثواب
الله ونصيبه في الاخرة ولما بين سبحانه وتعالى خساسة الدنيا
وشرف الاخرة اردفه باحوال يوم القيمة وذكر منها انواعا النوع الاول
قوله تعالى **ويوم** اي واذكر لهم يوم **نسير** باليسر **الجبال** عن
وجه الارض بعواصف القدرة كما تسير نبات الارض بعد ان صار
هشيما بالرياح كما قال تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر
السحاب تنبيه ليس في الاية ما يدل الى اين تسير قال الرازي
ويحتمل ان يقال ان الله يسيرها الى الموضع الذي يريد ولم يبين
ذلك لخلقه والحق ان المراد ان الله تعالى يسيرها الى العدم لقوله تعالى
ويسالونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا
لا ترى فيها عوجا ولا امتا ولقوله وبست الجبال بسا فكانت هبا
منبثا وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر بضم التا الفوقية وفتح اليا

Copyright ... University